العلاقة بين نظرية النحو الوظيفي والدلالة "سورة التوبة" أنموذجا

م.م. شفق محمد عبد
shafaqmohamed1686@gmail.com
مديرية تربية الكرخ الثانية

الملخص

تعدّ نظرية النحو الوظيفي حصيلة الجمع بين النحو التراثي وعلم الدلالة وعلم اللغة النصي، وقد نشات تلك النظرية منتصف القرن الماضي على يد رواد مدرسة براغ وأبرز العلماء المساهمين في إنشائها كان ماريتيني، وقد بدأت النظرية في التطور على يد الهولندي سيمون دايك، والذي ربط بين نظرية الأنظمة الصوتية والتحليل الصوتي الذي ظهر على يد مارتيني بحالة من القواعد مثل: الدلالة والتداول والمعجم والتركيب، ثم قام بتطبيقها على لغات عدة وأولها كان اللغة الهولندية وختم باللغة لعربية، وما لبثت النظرية أن وصلت إلى اللغة العربية بعد ان ترجمها العديد من اللسانيين واعتبرها المتوكل عملية إتمام للنحو التراثي وقد اعتنى بها اعتناء كبيرا، وتلك النظرية هي بمثابة عملية إتمام للنحو التراثي إذ أنها تبدأ حيث انتهى النحو التراثي وتربط بينه وبين الدلالة والسياق بشكل كبير، وقد اللسانيون متعلقة بأربعة دعائم وهي: التراكيب الوظيفية، البنى الصرفية، والبنى الدلالية، والبنى الاتساقية.

الكلمات المفتاحية: لساني، نحو وظيفي، دلالي.

The relationship between the theory of functional grammar and semantics: "Surat At-Tawbah" as a model

Abd Shafaq Mohamed
Second Karkh Education Directorate

Abstract

The theory of functional grammar is the result of combining traditional grammar, semantics, and textual linguistics. arose This theory in the middle of the last century at the hands of the pioneers of the Prague School, and the most prominent scientist contributing to its establishment was MaritiniThe theory began to develop at the hands of. the Dutchman Simon Dijk, who linked the theory of Phonological

systems and phonetic analysis, which appeared at the hands of Martini, are based on rules such as :semantics, pragmatics, lexicography, and syntax. Then he applied it to several languages, the first of which was the Dutch language, and he concluded with Arabic. The theory soon reached the Arabic language after it was translated by many linguists, and Al-Mutawakkil considered it a process of completing traditional grammar, and he took great care of it. This theory is a process of completing traditional grammar, as it It begins where traditional grammar ended and connects it to meaning and context in a large way. Linguists have related it to four pillars: functional structure, morphological structure, semantic structure, and consistency structure.

Keywords: linguistic, towards feeling, semantic.

المقدمة

لكل علم قواعده التي يبنى عليها وكذلك علم النحو فله أصول وقواعد ونُظُم قام عليها منذ القدم، ويتعلق بعضها ببعض فلا تكاد تنفصل أبدا، ويكمل الحديث منها القديم، وإذا نظرنا إلى القواعد والنظريات الجديدة للنحو وجدنا أنها بعض الأقيسة والقرائن التي نظر إليها المحدثون نظرة جديدة تختلف عن نظرة القدماء، ولا شكَّ أن تلك الأصول النحوية لها تأثير كبير على النحو وعلى الإعراب ومن هنا انطلقت فكرة موضوعي هذا: " العلاقة بين نظرية النحو الوظيفي والدلالة في إطار نحو اللسانيات الحديثة "سورة التوبة" أنموذجا".

فالنحاة القدماء قد أرسوا دعائم النحو وقواعده التي سار عليها النحاة لقرون طويلة، واعتبار القواعد والنظريات الجدية أمر حادث من الصعب باعتبار أن تلك القواعد قد استوفاها النحاة منذ قرون، وهذه النظريات بمثابة إكمال لما بدأه النحاة في السابق، وكان للنظريتين الدلالة والنحو الوظيفي تأثيرها على نظرية الإعراب، ولا يخفى على أحد ما للإعراب من أهمية بالغة، في علم النحو ككل وفي كل علوم العربية، وتلك النظريتان كما سيتقرر مواكبتان لتطور النحو منذ النشأة والاكتمال، ولا تقلان أهمية عن علم النحو ذاته، فنظرية النحو الوظيفي لها تعلم بالنحو التراثي ولها تعلق بنحو النص، وإذا أردنا أن نخوض في علم نحو النص لابد للعودة حينئذ لعلم الدلالة وتلك النظرية التي لازالت إلى يومنا في تطور مستمر.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها تتعلق بتجديد الخطاب النحوي وهي بمثابة إكمال لما بدأه النحاة في السابق، كما تكمن الأهمية في تعلقها بدارسة القرآن الكريم من خلال طرح النظريتين

للنحو الدلالة والوظيفة عبر الجمع بينهما للوقوف على وظائف الأدوات والوحدات اللغوية، وتطبيق النظريتين على سورة التوبة.

أهداف الدراسة

تحاول هذه الدراسة إثبات أن النظريات الحديثة التي ابتكرها المحدثون ما هي إلا تكملة لما سار عليه النحاة القدماء كما يهدف إلى إثبات الصلة الوطيدة بين النحو والدلالة لا سيما تعلق النحو الوظيفي بنظرية الدلالة.

إشكاليات الدراسة

تكمن إشكاليات الدارسة في بعض العناصر التي تواجه الباحثين اللغويين ومنها:

أولا: العلاقة بين الأصول والمعاني النحوية التي أرسى دعائمها النحاة القدماء وبين النظريات الأخرى كالسياق والدلالة وتعلقهم بنظرية النحو الوظيفي.

ثانيا: عدم التعارض بين النظريات النحوية الحديثة وبين النحو التراثي.

خامسا: موقف النحاة من النظريات الحديثة كنظرية النحو الوظيفي، وعلاقتها بنظريات قديمة كنظرية الدلالة.

منهج الدراسة

لقد تخيرت لهذه الدراسة المنهج الاستقرائي لجمع النصوص التي سيقع عليها التحليل، والمنهج الوصفي بتتبع القواعد لتلك النظريتين ثم تحليل مبادئها على سورة التوبة.

هيكلية الدراسة

أولا: المقدمة: وتشتمل على: التعريف بالموضوع وأهميته أسباب الاختيار والمنهج المتبع.

ثم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نظرية النحو الوظيفي، النشأة والأسس والأثر.

المبحث الثاني: الدلالة وعلاقتها بنظرية النحو الوظيفي.

المبحث الثالث: ملامح نظرية النحو الوظيفي والدلالة من خلال سورة التوبة.

ثم الخاتمة: وتشتمل على النتائج وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

نظرية النحو الوظيفي، النشأة والأسس والأثر

لقد اعتنى اللسانيون العرب والغربيين بالنظريات التي لها علاقة بالنحو والدلالة اعتناء كبيرا، فنتج عن ذلك ظهور الكثير من النظريات التي تتعلق بالفنين معا كنظرية النحو الوظيفي، وإذا نظرنا إلى نظرية النحو الوظيفي على سبيل التعريف نجد ان المصطلح يتكون من جزئين:

١- النحو: وهو الفن العربي المعروف ولا حاجة لتعريفه مستقلا.

٢- الوظيفي: وأصلها في اللغة مادة (وظف) .

هي مادة (و. ظ. ف)، وهي في الأصل: "قدره يُقَال وظف لَهُ الرزق ولدابته الْعلف"().

وقد وردت بمعنى التبعية، والتقدير ().

ولعل المعنى الاصطلاحي مأخوذ من كلا المعنيين اللغويين؛ نظرا لأهمية الوظيفة في العرف اللساني والنحوي.

أما الوظيفة في عرف علماء اللغة فهو مفهوم حديث يطلق ما تؤدية الوحدة اللغوية من مدلول، كما انها تطلق على عمل الوحدات اللسانية المختلفة بين الأسماء والأفعال والحروف فيقول اللسانيون على سبيل المثال: وظيفة الفعل ووظيفة الحرف ووظيفة الأداة وهو يعنون عمل الوحدة اللغوية في الجملة من خلال الوسيلة التواصلية ولكنهم لا يعتنون بوظيفة الأدوات منفردة بل ما تؤديه الأدوات مجتمعة من وظائف كوظيفة الربط التي تؤديها أداوت العطف ().

وقد بيّنوا أن الوظيفة تطلق في الدرس اللساني الحديث على معنى العلاقة التي تقوم بين الأداوت من حيث ما تؤديه في الجملة، وفقا لما يسمى في الدرس اللساني الحديث بالدور، وعند البحث والاستقراء فإن الوظيفة هي الدور والعلاقة معا فعلى سبيل المثال حروف العطف تجمعها كلها علاقة واحد إذ هي حروف، ودورا واحدا إذ هي تعمل العطف فكلها لها علاقة ببعضها وكلها تؤدي الدور نفسه وقد ظهرت في العرف اللساني بأنها العلاقة القائمة على الأدوار الواحدة بين مكونات الجملة ().

فالوظيفة على المعاني السابقة هي ذلك الغرض الذي يظهر من خلال اسنخدام وحدات اللغة المختلفة، مما يقودنا إلى أن الوظيفة تدلّ على علاقة الوحدات اللغوية كلها ببعضها، ثم تنظم حالة الدور لكل مجموعة على حدى، ومن ثم تقسمها إلى سوابق ولواحق وغير ذلك من موضاحات الجملة والعناصر التي تقوم على العلاقات، كعلاقة الفاعلية والمفعولية والحالية والربط والإسناد والإحالة فتنظم دور كل وحدة لغوية بحسب دورها ويطلقون عليه الوظيفة، ومن هنا انطلق اللسانيون المعاصرون إلى أن الوظائف النحوية القديمة تختلف عن الحديثة فالقديمة من وجهة نظرهم تقوم على بعض المعاني المتقاربة كما أطلقوا على: على الكلمة اسم أو فعل أو حرف، ثم قسموا كل منها إلى أقسام كتقسيم الاسم إلى نكرة ومعرفة ومفرد ومثنى وجمع وإلى مذكر ومؤنث باعتبار النوع () .

حداثة المصطلح او قدمه:

الناظر في المصطلح السابق قد يظن لوهلة أن النحو الوظيفي هو مسمى جديد للنحو يهتم بالوظائف التي تؤديها الوحدات اللغوية، ولكن ليس لأمر كذلك، فالنحو الوظيفي ليس له علاقة بالنحو التراثي فلا ينشغل النحو الوظيفي بعلاقة الفاعل بالمفعول ولا المبتدأ بالخبر ولا الجملة الاسمية ولا الفعلية ولا ناصب المفعول ولا رافع الفاعل والمبتدأ، وإنما يصبّ كل الاهتمام على

وظائف دلالية وتداولية للوحدات النحوية وعلاقتهم متصلة بالمقامية أو التبليغية، فالنحو الوظيفي عند اللسانين المحدثين يبدأ من حيث انتهى النحو التراثي().

فتتجه نظرية النحو الوظيفي عند (أحمد المتوكل) إلى ما هو أبعد من الإسناد فتقيم علاقات الإسناد وفق الدلالة والانزياح وفق القواعد من التراكيب الصرفية والنحوية والبنية الدلالية والتداولية () .

فظاهر الأمر أن النحو الوظيفي يصب كل الاهتمام على السياق والوحدات الدلالية ووظيفتها النحوية الجديدة في الجملة.

وترجع نشأة نظرية النحو الوظيفي إلى أحد المدارس الغريبة وتسمى مدرسة براغ وهي مدرسة ظهرت في في تشيكوسلوفاكية ١٩٢٦م، على يد مجموعة علماء اللغة والأدب والفلسفة، وتأثرت تلك المدرسة بطريقة التحليلات الصوتيةللوحدات المستقلة (الفونيم) والوحدات اللسانية المتصل (المورفيم) ومن ثم أطلقوا تلك التحليلات اللغوية تحت مسمى (الصوتيات الوظيفية) ومن هنا انطلقت الدراسة الوظيفية للوحدات الصوتية المختلفة كجزء من الدرس اللغوي().

وكان على رأس تلك المجموعة من العلماء عالم يسمى (مارتيني) الذي قام بأداور كبيرة لخدمة النظرية في نشأتها ومنها بعض التقسيمات كتقسيم الوحدات اللغوية إلى مونيمات وهي ():

١- المورفيم الحر: وهي وحدات غير متصلة مثل ظرف الزمان والمكان والوحدات الحرة التي تأخذ شكلا مستقلا ويمكن أن تتصدر في الجملة.

ثانيا: المورفيم المقيد: وهي وحدات لا يمكن أن تظهر لها وظيفة إلا وهي مقيدة بغيرها، وقد أطلقوا هذا المسمى على بعض الوحدات مثل المضاف إليه فهو في نظرهم تذهب وظيفته إذا انفصل عنه المضاف.

ثالثا: المورفيم المساعد: وهي بعض الوحدات لا تدل على معنى مستقلا بذاتها بل يظهر معناها ووظيفتها عند التقيد بغيرها، فهي تساعد غيرها في الوظيفة وتساعدها غيرها أيضا وهي أشبه بالحروف في النحو التراثي.

وقد أنشأ (مارتيني) البداية لنظرية النحو الوظيفي على تلك التقسيمات السابقة والعلاقة بينهم.

وقد ظهرت النظرية للنور على أحد العلماء وهو (سيمون دايك) الهولندي وقد طوّر من النظرية تطورًا كبيرًا وأرسى مبادئها لتتخطى النحو إلى مجالات كثيرة كمجال الدلالة والتداول والمعجم والتركيب، انطلاقا من النحليل الصوتي الذي أنشأه مارتيني، وقد قام تطبيق النظرية ومبادئها على لغات عدة ومنها: اللغة الهولندية ثم الإنجليزية والفرنسية والعربية().

فقد ظهرت في مسماها الجديد (النحو الوظيفي) عبر أحد النماذج التي قدمها (فان دايك) عام ١٩٧٨ وقد قسم تلك الوظائف إلى: الخزينة، وقواعد إسناد الوظائف، وقواعد التعبير والقواعد الصوتية ().

وقد مثلّت النظرية حالة من الترابط بين مكونات الصن بغض النظر عن قائله وكان أبرز الخصائص التي طرحتها هي وظيفة الترابط والتمساك النصي بين الواحدات التي تعني بها الوسائل اللغوية التي يتوجب الاستعانة بها ().

وتجاوزا بذلك نحو الجملة والنحو التراثي إلى اتساق النصعبر الوظيفة.

فاعتنوا بنوعين من الدراسة المهمة التي تتصل اتصالا وثيقا بنظرية النحو الوظفي وهما السياق اللغوي وغير اللغوي، ومن هنا انطلق (استيفن أولمان) باعتبار أن السياق اللغوي هو النظم اللفظي للكلام واعتبار موقع الكللمة لتكوين ذلك النظم(). معتمدا على نظرية النظم للجرجاني واعتبار السياق غير اللغوي وهو الظروف المحيطة بالنص ولكنها خارجة عنها وهو ما يطلق عليه المقام ().

فنظروا إلى السياق والتراكيب المختلفة التي تختبئ في خصائصه بعض الإشارات والدلالات المختلفة، وأن السياق والدلالة هما رأس هذه الخصائص، فالسياق النحوي أو الدلالة النحوية هي شبكة من العلاقات اللغوية تقوم في أصلها كل علاقة فيها عند وضوحها على إضاءة المعنى ().

ومن هنا كانت نظرية النحو الوظيفي تقوم على أربعةدعائم أساسية وهي:

١-التركيب الوظيفي: وتقوم على التركيب الوظيفي النحو كتركيب الأداور والإحالة ومنها انبثق عن النحو الوظيفي مسمى النحو التركيبي ().

٢-البنية الصرفية: وتنتج عنها الخاصية الدلالية والإنتاجية().

٣-البنية الدلالية: وتقوم على ترتيب أدار كل عناصر التركيب النحوي والجملي وفق ما هو مدولها ودورها ().

٤-بنية الاتساق: والتي تعتني بتماسك النص والترابط بين عناصره ().

المبحث الثاني

الدلالة وعلاقتها بنظرية النحو الوظيفي

الدلالة من حيث اللغة هي مطلق الهداية ومنه سمي الدلال بهذا لانه يهدي الناس في الصحراء ().

فأصل معنى الدلالة هو الدليل، وهو ما جعل أمارة يوصل لشيء آخر.

وقد ورد للدلالة عدة تعريفات وعلى رأسها:

١-"فهم المعنى من اللفظ"() .

فإذا أردنا أن نحدد دلالة كلمة "قَلَم" فهذه الكلمة مكونة من دال وهي تلك الرموز الصوتية" ق ل م" ومدلوله هو الشيء الذي تشير إليه، ودلالتها: هي الربط بين هذا الدال والمدلول، فتكون الدلالة في هذا التعريف مكونة من ثلاثة أركان: الدال والمدلول والدلالة () .

ويمكن تعريفها بتعريف آخر وهو: ذلك الفن الذي يبحث في المعاني الأصلية للألفاظ وما تتعلق به من قوانين وما تخص له من تطورات وقوانينها () .

وهي أن يفهم المعنى مكن اللفظ عند إطلاقه بحال الوضع(). أي إذا أطلق لفظ "قلم" يفهم دلالته أنه ذلك الأداة المستخدمة في الكتابة فيفهم أهل اللغة الذين يتحدثون بها، وإذا أطلق لفظ رَجُل فيفهم دلالته أبناء تلك اللغة الذين يتحدثون بها

من خلال هذا التعريفات يمكن الاستنتاج أن الدلالة هي تلك الدراسة التي تدل على ما يتم التوصل بها إلى المعاني المرادة من النص وتخلص التعريفات إلى:

١- الشيء، أو اللفظ، والذي يسمي (الدال)، وتختلف مسمياته فإن البعض قد يسميه بـ(الرمز) أو (العلامة) أو (الشكل) أو (الصيغة) وهو في الدرس اللغوي يسمى باللفظ() .

٢- المعني: أو (المدلول)، وهما ركان الدلالة فلابد من وجود دال ومدلول لحصول طرفا الدلالة().

وقد ارتكز اللغويون على أن قضية المعنى هي أصل الاهتمام في علم الدلالة، فهي بمثابة موضوع هذا العلم ().

أما العلاقة بين الدلالة ونظرية لنحو الوظيفي فهي علاقة وطيدة، وذلك لكون الدلالة في أصلها تنقسم إلى نوعين مختلفين, وهما:

١-دلالة الألفاظ، وتعلقها بنظرية النحو الوظيفي تعلق التقسيم للدور والعلاقة الذي قامت عليهم نظرية النحو الوظيفي عند مارتيني في التقسيمات الثلاثة الشهرية للوحدات اللغوية ().

٢-دلالة التراكيب: وهي دلالة اللفظ في حال التركيب ودلالة السايق العام في حال التركيب، وتلك التركيبات مهمة في نظرية النحو الوظيفي في التقسيمات والدعام التي أقامها (دايك) إذ قسَّم تلك الوظائف الدلالية المختلفة إلى: الخزينة، وقواعد إسناد الوظائف، وقواعد التعبير والقواعد الصوتية ().

وانبثق عن الدلالة التركيبية فاللّغة وفق هذه النظرية هي نظام كمال من الأنظمة والرموز الصوتية، وليست مجرد العلاقة دال ومدلول بين كل من المدلول أو المعنى، يؤدون وظيفة أخرى مرتبطة ومتصلة بالأصوات، والصرف، والنحو، حيث إن هذه الدلالة تقوم بتقارب هذه العلوم، ولولا هذه الدلالة لأصبحت هذه العلوم لا يوجد فيها حياة().

المبحث الثالث

ملامح نظرية النحو الوظيفي والدلالة من خلال سورة التوبة

وإذا أردنا أن ننزل تطبيق نظرية النحو الوظيفي وتعلق الدلالة بها يمكن أن نقسم تلك التنزيلات على النحو الآتي:

١-التركيب الوظيفي: وهو ما يقوم على التركيب الوظيفي للنحو كتركيب الأداور والإحالة، ومثال ذلك:

أولا: قوله تعالى: ﴿ بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة:١.

وقد جاء التركيب الدلالي لنظرية النحو الوظيفي هنا عبر حالة من الإحالة بالاسم الموصول وهو من أقرب درجات الإحالة إذ يتصل بجملة صلة الموصول التي تعرف المخاطب فبدأ الآية بالبرآة ثم بين الذي تبرأ وهو الله ورسوله ثم بين من أحيل إليه وهم الذين عادهدتم من المشركين، فأحال البراة وهي قطع العصمة إلى كل المشركين الذين بينهم وبين المسلمين عهد()، فوقعت وظيفة الإحالة في تعريف المحال وهو البرآة والمحال إليه وهو المشركين والمحيل وهو الله عز وجل، فالتركيب الوظيفي للاسم برآة وهو إيقاع المحال والتركيب الوظيفي للاسم الموصول وجملة الصلة هنا بيان المحال إليه.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ وَأَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾ التوبة: ٣.

وقد وقعت الإحالات السابقة عبر اسم الجنس المعرف بأل (الناس) وظرف الزمان (يوم الحج الأكبر) ثم الإحالة بالضمائر المختلفة المتصلة والإحالة بالاسم الموصول الذي، فوقعت التراكيب الوظيفية كل منها يؤدي دورا لإيقاع الإحالة الكبرى وهي الإعلان من الله عز وجل بالبراءة من المشركين في يوم الحج الأكبر ()، فأتى دور النحو الوظيفي ببيان العلاقة هنا والأدوار المتبادلة بإيقاع المصدر "أذان" على الإعلان المطلق، ثم اسم الفاعل بريء للدلالة إيقاعه من اله ورسوله، وبالتعبية يجب على المؤمين، فتعلقت كل وحدة دلالية بدور وظيفي يدؤي في النهاية تلك الإحالات.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة:٥.

وقد أدى الاسم الأشهر الحرم دورا وظيفيا دلاليا في إيراده معنى أربعة أشهر وهي (رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم) ()، كما ادى لفظ الأشهر الدلالة على أنها جمع قلة، ثم وقع الإحالة بالضمير المتصل واو الجماعة في (اقتلوا) إشارة إلى المسلمين، ثم الإحالة بالواو في كل من (جَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا) ثم الإحالة بالواو في (تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا) إلى المشركين.

رابعا: قوله تعالى: ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ ﴾ التوبة: ٥٥.

ووقعت الإحالة هنا ببعض الوحدات التي تؤدي دورا إحاليا كالضمائر فالكاف في تعجبك تعود على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأموالهم وأولادهم ويذبعهم وأنفسهم وهم تعود على كل الكفار، فأدت الضمائر باعتبارها وحدات حرة وظيفة الإحالة، وقد أدت اللام هنا وظيفة نحوية وهي دلالتها على التعليل والتعليل هنا فائدته: "فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله تعالى محال"().

خامسا: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ الْحُسْنى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ التوبة: ١٠٧-١٠٨.

والوظفية التركيبية للاسم الموصول "الذين" هي وظيفة الإحالة على الذين اتخذوا مسجدا، ثم ترد الوظيفة للوحدة النحوية الحرة من وجهة نظر مارتيني وهي مسجدا، وهي أن هذا المسجد أصبح وحدة دلالية كما انه وحدة لغوية تؤدي وظيفة المنع والنهي عن الإقامة فيه، والإحالة هنا تقع على أمر خارج عن وهم المنافقون، والأصل هنا أن الحمل جاء على المعنى، فمعنى قوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً ﴾

أي اتخذوا مسجدا للضرار، فلما حذفت اللام أحيل على المعنى ونصب ضرار في موقع المصدر حملا لها على المنعى؛ "لأن اتخاذهم المسجدَ على غير التقوى معناه ضارُّوا به ضِرَارًا" ().

٢-البنية الدلالية: وهي كما سبق تقوم على ترتيب أدوار كل عناصر التركيب النحوي والجملي وفق ما هو مدولها ودورها، ومن أمثلة ذلك:

أولا: قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ﴾ التوبة:٢.

جاء التعبير بفعل الأمر هنا للدلالة الخطابية الإخبارية فدلالة الفعل سيحوا هنا ليس الأمر وإنما الدلالة الإخبار الدالة على الخطاب فالأصل قل لهم (يا محمد) سيحوا(). ثم الانتقال من الخطاب والإخباري إلى دلالة الأمر اعلموا والوظيفة منه التنبيه والتدبر (). فدلالة الأمر في الآي السابقة مرة للخطاب ومرة للتنبيه والتدبر.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ٦.

وجاء دلالة إن الشرطية على تعلق الفعل على الجواب وهي الدلالة النحوية المعروفة لها، بتعلق الفعل على الجواب، واتصلت بالاسم على دلالة الحذف فالاصل وإن استجارك أحد من المشركيب على تريب الأدوار نحويا فتعلق أحد هنا بفعل محذوف هو الأصل المتفق عليه قديما بين النحاة وذلك لان إن الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرا كما أدت وظيفة الجزاء ().

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ﴾ التوبة: ٧-٨.

وكيف هنا وحدة دلالية مقيدة على رأي مارتيني والوحدة الوظيفية الدلالية لكيف الاستفهامية هنا من حيث الوظيفة هي اسم استفهام للدلالة على الحال، وإن كانت وظيفتها لغير ذلك من حيث التلعق الدلالي، فهي تؤدي دلالة الإنكار، " كَيْفَ استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد، لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أضداد وغرة صدورهم" (). ثم الدلالة لكيف الثانية هي تأكيد لنفي لثبات على العهد والتكرار هنا "تكْرَار للتَّأْكِيد وَاكْتفى بِذكر {كَيفَ} عَن الْجُمْلَة بعده لدلَالَة الأولى عَلَيْهِ"().

رابعا: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ وَالْعامِلِينَ عَلَيْها وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقابِ وَالْغارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٦٠.

وهنا ثمة ثلاث وحداتات وظيفية الأولى حرة وهي إنما ودلت على الحصر والتخصيص(). أي أن الصدقات لا تدفع إلا لهؤلاء، والثانية: اللام وهي وحدة مقيدة تؤدي معنى الملك والتخصيص أيضا والوحدة الثالثة هي في وهي للدلالة على الظرفية والوعاء وعدل عن اللام إلى في لأنهم أكثر استحقاقا ().

٣-بنية الاتساق: وهي أسلفت مجموعة من الإمكانيات المتاحة لجعل كل أجزاء النص في حال من التماسك ببعضها، ولها أمثلة كثيرة ومنها:

أولا: قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ١١.

وثمة أدوات للاتساق ظاهرة هنا وهي وحدات مقيدة كما أطلق عليها مارتيني وهي الفاء والواو، فالفاء الاولى استئافية للدلالة استئاف كلام جديد والفاء في خلوا رابطة لربط الكلام بما قبله ().

والواو العاطفة أداة اتساق وهي وحدة وظيفية مقيدة وتؤدي معنى الجمع مطلقا ().

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ ﴾التوبة: ١٦.

وقد ورد في الآية السابقة بعض الوحدات المقيدة التي تؤدي دلالة الاتساق وهي أم والواو ولا، وكلها عند مارتيني وحدات مقيدة تؤدي وظيفة الاتساق مع دلالة العطف ().

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٧١.

وقد وردت في الآية بعض الوحدات المقيدة التي أدت وظيفة الاتساق وتلك الوحدات هي الواو الدالة على العطف والتنويع والضمير واسم الإشارة أولئك .

الخاتمة والنتائج:

لقد ورد هذا العمل كحلقة وصل بين النحو التراثي ونظرية النحو الوظيفي المتعلقة بالدلالة ورغبة في بيان أن نظرية النحو الوظيفي تبدأ حيث انتهى النحو التراثي فهي بمثابة تكملة له، أما أهم النتائج فهي:

١- نشأت النظرية وظهرت في قرابة منتصف القرن الماضي في حضن مدرسة براغ وأبرز العلماء المساهمين في إنشائها كان ماريتيني.

٢- بدأت نظرية النحو الوظيفي في التطور ثم ظهرت للنور يد الهولندي سيمون دايك، وقد ربط دايك النظرية ببعض المبادئ مثل: الدلالة والتداول والمعجم والتركيب، ثم قام بتطبيقها على لغات عدة وأولها كان اللغة الهولندية.

٣- كانت النظرية بمثابة عملية إتمام للنحو التراثي من وجهة نظر اللسانين العرب الذي اعتنوا بها ولها وظائف عدة وعلى رأسها الوظيفة الدلالية والتداولية.

٤- تعلقت نظرية النحو الوظيفي بالسياق ولدلالة والاتساق والنص فهي مبادئ وخصائص تتعلق بالنظرية تعلقا كبيرا.

٥- عندما تمت ترجمة النظرية إلى اللغة العربية اعتبرها اللسانيون متعلقة بأربعة دعائم وهي: التركيب الوظيفي، البنية الصرفية، والبنية الدلالية، والبنية الاتساقية.

References

- القرآن الكريم

- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، ، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

- أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط:١،٢٠٠١م.

- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

– أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

–البنيوية في اللسانيات، دار الرثاء الحديث، محمد الحناش، ط١، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٠.

–التأويل اللّغوي في القرآن الكريم، الصالح حسين حامد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

– تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دارالهداية.

– التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

– التركيبيات الوظيفية، قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، دار الأمان الرباط ٢٠٠٥م.

– تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

–التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

– التعريفات، الشريف علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣ م.

– تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

– الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

– الدلالة والمعنى، عقيد خالد حمّودي العزاوي، وعماد بن خليفة الدّايني البعقوبي، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط: ١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

– دراسات في علم اللغة، د . كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

– دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٢م.

– رسالة منازل الحروف، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، المحقق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر – عمان.
–علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧.
– علم لغة النص ، د.سعيد بحيري، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار ، القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
– كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابنالقاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفيالتهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النصالفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمةالأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت
الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.
–الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
– اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ط٣، ديوان المطبوعات الجامعيةبن عكنون الجزائر، ٢٠٠٨م.
– اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
– اللغة والفكر والمعنى، د . محمد بوعمامه مجلة البحوث والدراسات، العدد الرابع، يناير ٢٠٠٧م.

– مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة، ط:١ دار تبقال–الدار البيضاء ٢٠٠٠م.
– مقدمة لدراسة علم الدلالة، طالب محمد اسماعيل، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
–معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
– معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
– معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا(عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة – بيروت، عام النشر: [١٣٧٧ – ١٣٨٠ هـ].
– من البنية المكونة: الوظيفة المفعول، أحمد المتوكل، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٧م.

– المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيممصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمدالنجار)، دار الدعوة.

– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

– المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط المغرب ٢٠٠٦م.

– الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ .

– الوظائف التداولية أحمد المتوكل، في اللغة العربية ط١، دار الثقافة المغرب ١٩٨٥م.